جريدة الأنوار ٢١/٢/٢٠٠٨

«... وتحقق الأمل» بتوقيع ٣ كاتبات!

صدر حديثا ضمن سلسلة علوم الايزوتيريك رواية «... وتحقق الامل»، وهي باكورة اعداد ثلاث نساء عملن معا في انجاز تحفة ادبية تشهد ببراعتهن، وهن: المهندسة هيفاء العرب، الاستاذة لبنى نويهض، والمهندسة ندى شحادة معوض. الكتاب يضم ٣٠٤ صفحات من الحجم الوسط، منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء، بيروت. وجاء في كلمة الناشر:

غلاف الكتاب

يبدو انه لم يشهد تاريخ الرواية العربية ثلاث نساء انتظمن معا ليس بالتكافل والتضامن والتكافؤ وحسب، بل بالمنهج والاسلوب والسرد والحنكة والمفاجآت غير المتوقعة... عملن كل ما يلزم لصياغة وبناء رواية عصرية مميزة. والحكم يعود للقارىء في النهاية.

«... وتحقق الامل» بما يتخلله من تشويق ومن بُعد وعمق وتحليل دقيق ينطوي على رقة هفهافة وشفافية تصوير تطال ما لا يخطر في البال، تطال ما لا تستطيع غير المرأة كشفه لجهة فهم دواخل المرأة. يروي الكتاب قصة حقيقية من صميم الحياة المعاصرة، ترتكز اهميتها على ما لا يمكن للانسان ان يستمتع من دونهما: الفكر والعاطفة... محبوكان في وحدة حياتية متلازمة، ارتقاء نحو اسرار سعادة الحب والتنعم فيعيش الحياة كالمخلوقات النورانية.

«... وتحقق الامل» يذكرنا في بعض جوانبه بعهود الرومنسية، لكن باسلوب مبتكر اكثر منه مشوّق يتماشى مع العصر. فلا غرو ان طمح للانتشار في كل زمان ومكان... ويذكرنا ايضا بقصص الحب التي خلدتها الازمان، لكن بطريقة انسانية تستفز المشاعر وتتفاعل معها الى حد الفرح العميق، والى حد العذاب الذي يطال الوجع، والبكاء احيانا.

ابطال «... وتحقق الامل» اربعة، متناقضو الشخصية، انما يجمعهم هدف مشترك هو انقاذ المرأة في عهدتهم. مسرح القصة واقع تصرفات كل منهم بما تشهده من تحايل ومراوغة وخداع وعذاب الى حد المأساة، ومن عذوبة ورقة الى حد الشفافية، ومن قسوة الى حد البطش، واستنزاف يجاري الموت البطيء! ومهما بلغ التكدّر اشدّه، فلا تخلو النفوس من لحظات صفاء وانخطاف ملهم وعودة الى الذات في حس جمالي يرقرق السرد، ويضفي عليه لمسات من ابداع الفكر واناقة التعبير العاطفي في عبارات تصويرية مضيئة تخلد الحب في الحياة، الى ما بعد الحياة!

الى اي حد نستطيع اعتبار «... وتحقق الامل» فتحا جديدا في الرواية العربية الحديثة؟! قصته تغور في دهاليز نفس امرأة عبثت بالحب والفضائل، فغرقت في طيشها، في صراعات صارخة بين الجهل والألم والضياع، الى ان ارتدّت ووجدت الحب من جديد. عرفته حقيقة سعادة في صميم الواقع المعاش، سعادة تتمحور حول الوعي، وعي حقيقة ان الحب وحده هوما يعبّىء نقصان النفس، نقصان المرأة في الرجل ونقصان الرجل في المرأة... لقد اكتشفت بطلة الرواية معنى واهمية الحب في حياة كل انسان، والذي مهما ارتقى بوعيه لا يتفوق في حياته من دون الحب، حيث «ارادة الحب تحقق ارادة الحياة!».

هكذا تروي بطلة القصة بدايات حياتها التي لم تكن سوى بذخ في الثراء... وبحث عن لذة لمّاعة افقدتها قيمة المرأة داخلها. لكن ارادتها للحياة جعلت يد الحب تنتشلها من بؤرة ضياعها، فوعت انه «لا معنى للحياة ان بدأتِ بمجد وانتهت بمجد ولم ترطب بدمعة حب واحدة!».

هنا يبرز السؤال المحيّر، كيف ينمو الحب الكبير في واقع مأساوي؟! لا بد من الاشارة اولا ان تعرية الجسد سهلة، واعترافات لواعج القلب ربما اسهل... لكن الى اي حد تستطيع المرأة تعرية افكارها امام الحبيب... والبوح بكل الاسرار التي احتفظت بها لنفسها كحلى نادرة نفيسة اورثتها اياها التجارب والحيطة والحذر، والريبة والشك، واهمها حدس المرأة وما تكشفه لها احلامها... فهذا كله من بين ذكريات اخرى بشكل منتهى خصوصية المرأة، وهذا كله تكتنزه في تلك الزاوية الحميمة من الذاكرة... ربما للجوء اليها من حين لآخر، او مقارنتها بالواقع المعاش. المرأة التي تريد ان تأخذ من الحياة اكثر من غيرها، يجب ان تعطي الحبيب اكثر من غيره. والامر ينطبق بحذافيره على الرجل ايضا. حينئذ كلاهما يجعلان من مكنونات الذهن والفؤاد تربة خصبة على مسار توحيد حياتهما المشتركة باتجاه الحب الكبير الذي يطمح اليه كل شاب وفتاة، الحب الكبير الذي يتسامى فوق التنغيص والكدر والعذاب والمكابدة والدموع... فيتفتّق الذهن والفؤاد معا على سعادة لم تخطر في البال! كما باح الحبيب بعفوية الصدق «ان سعادتي لا تقاس، لأن سعادة من ينظر اليّ في سعادتي كبيرة».

بأسلوب دقيق وانسيابية عفوية ممتعة يصوّر الكتاب قصة صراع الوعي ضد جهل النفس للنفس... ليحوّل هذا الوعي الظلمة الى نور، ليحوّل الضياع الى لقاء، والانهيار الى تجربة تحدٍّ نهضت بحطام امرأة من الحضيض الى اسمى معاني الحب كما يمكن ان تجسده المرأة الى جانب من تعشق...

ناجت بطلة القصة حبيبها معبّرة عن تجربتها قائلة «كنتُ دائما ابحث عن الحب الحقيقي، لكني لم اكن اعرف ما هو، ولم اكن قادرة على ان اعرّفه لنفسي او ان ارسم صورته. كنت ابحث عن شيء اتمناه لكن لا اعرفه. معك، بات الحب صورة جلية، وبتُّ ايضا افهم نفسي بوضوح، لا بل اقرب الى نفسي بعد ان كنا غرباء عن بعضنا. رائع ما علمتني، وكم علمتني. جعلتني اكتشف نفسي دونما سفسطة او تعقيد، انما ببساطة وانسيابية وصدق».

وعت البطلة «ان الحياة سلسلة هائلة من جمال يتعلق بحب، وحب يتعلق بعظمة، وعظمة تتعلق بخلق، وخلق يتعلق بخلود، وخلود يتعلق من جديد بحب».

ووعت ان المرأة التي تعرف كيف تحب، تعرف كيف تنصهر في من تحب، بدفء ما بعده... واندماج ينبعث من جوارحها فتنجبل بكليتها في كل حركة تأتي بها، وتكون في كليتها قبلة تجسّد بلاغة صدق حبها في صمت مبين.

ومن منطلق «من يفتقر الى الحب يفقد الوجه الانساني فيه»، يتوجه الكتاب الى كل من يعيش الحب، او يبحث عنه، حتى وان تنوعت تفاصيل التجربة او اطرها الظاهرة... فالنفس البشرية تبقى واحدة في معاناتها، ولعل معاناتها الكبرى في الزمن الراهن هي افتقارها لحقيقة الحب... فكيف «... يتحقق الامل»؟!